

- ماشي يا مريومة ... السلام عليكم.

يصل يوسف إلى المنزل ليجد الجميع في انتظاره .

- يوسف .. كنت فين يا بني من إمبراح؟ قالها والده وهو في قمة غضبه.

- مافيش يا بابا كنت بجيب صحبي من المطار وسهرت عنده ومسك فيا أبات معاه و....

لم يكمل يوسف جملته حتي تفاجأ بصفعه على وجهه دوت لها الأذان.

- يا حبيبي يا بني، قالتها والدته وهي تربط على قلبها بعد أن سمعت تلك الصفعة... **تضع حفصة** كلتا

يديها على فمها تكتم بكائها يقف الوالد في حالة ذهول عما فعل لم يشعر بغضبه الجامح إلا عندما

سمع صوت تلك الصفعة... يذهب يوسف مسرعاً إلى غرفته ويغلق عليه باب غرفته.....

الفصل الحادية عشر

(فراق)

زاد الفراق ومعه زاد الاشتياق

تجلس أسرة الأستاذ عبد الله سوياً في غرفة الصالون بعد أن طلب منهم أن يتحدث معهم في أمر هام.

- خير يا بابا قلقتنا ... قالتها مريم.

- خير يا حبيبتي... الشركة هتفتح فرع جديد في السعودية و طلبوا مني إني أروح أمسك هناك الشركة وأشرف على عملهاعشان كذا قررت أنا وماما إنكم هتروحوا معايا؛ لأنني مش عارف هرجع إيمتي.

يقع الخبر كالصاعقة على مريم لتجد نفسها تحدث نفسها قائلة:

* طيب كليتي وصحابي وسديم، لتجد قلبها يقول: ويوسف، ليقطع شرودها كلام والدها لها وهو يقول:

- ها يا مريم قولتي إيه؟

- ها... اللي حضرتك تشوفوا يا بابا ... ثم تذهب إلى غرفتها.

يلاحظ الأب ذلك الأمر فتذهب الأم خلف ابنتها .. يأخذ رأي صهيب

- أكيد يا بابا موافق خيلنا نخرج بره البلد دية.

وفي غرفة مريم تجلس الأم بجانب ابنتها لتعرف ما يدور ببالها.

- مالك يا بنتي؟ قومتي ليه على طول كدا؟

- لا يا حبيبتي مافيش ..بس ليه كدا ليه نساfer مع بابا طول عمره بيسافر لوحده إشمعني المرة دي؟

- يا بنتي بابا المرة دي هيغيب عن كل مرة وهو خايف على صهيب؛ لأنه في سن حرج فأنا قولتله نروح

كلنا معاك ..وانتي يا حبيبتي تكلمي دراستك هناك... استسلمت مريم أمام كلام والدتها.

تقوم مريم بعد ذلك لتتفقد حسابها على موقع التواصل الاجتماعي ..تتصفح مريم الرسائل التي أظهرت

أعداداً كبيرة وأغلبها من شباب شتى، غضبت مريم غضباً شديداً فوق غضبها، فأقسمت أنها ستغلق حسابها؛ لأنها ليست بحاجة إلى تلك الفتن..
تجلس مريم علي سريرها شاردة الفكر و تسأل نفسها:
- ليه قلبي قال اسمه؟

مرت أيام قليلة ويخرج من منزله كعادته لا يتكلم مع أحد من بعد صفعه والده له لا يتحدث مع أحد أبداً في المنزل.

يقود سيارته ليذهب الي الجامعة ويسمع صوت هاتفه يرن:

- حبيبي.. إيه يابني من ساعة ماكنت عندي ماشوفتكش ثاني.

- معلش يا فادي عندي شوية مشاكل.

شعر فادي أن يوسف به أمر فاستغل الموقف وقال:

- طيب هستناك تجيلي وأنا هحللك المشاكل.

تسارعت دقات قلب يوسف عندما سمع كلام فادي فلقد تذكر ماحدث تلك الليلة مع سوزي ولكن هيهات فلقد وجد نفسه تلبي نداء الشهوات.

يصل يوسف إلى الجامعة ويتصل بإسلام ليلتقي به.

جلس الصديقان يتحدثان سوياً... يلاحظ إسلام أن يوسف به شيء ما فيبدأ هو بالحديث محاولاً معرفة ما بداخله لكنه تفاجأ ببكاء يوسف الهستيري.. بكاء ندم على ما فعله.

أصر إسلام على معرفة ما يجعل يوسف يبكي هكذا ولكن أبى يوسف أن يفضح نفسه بعد ستر الله عليه فاكتمى قائلاً:

- بالله عليك ادعيلي إن ربنا يسامحني على كل حاجة.

- حاضر يا يوسف ...بس خلي عندك حسن ظن إن ربنا غفور رحيم ..بس إحنا نرجعه ونتوب ليه.

تجلس مريم مع سديم ولكن على غير العادة.. تشعر سديم بها من قبل أن تتكلم.

- مالك يا مريم في إيه يا حبيبتي في حاجة مز علاكي؟

كأنها كانت تنتظر تلك اللحظة حتى انفجرت في حالة من البكاء وترمي بنفسها في أحضان صديقتها التي طالما كانت مأوى لها من عثرات الدنيا ومع كل دمة تسقط منها تتذكر كل موقف جمع بينهما... فكرت في شكل حياتها بعد أن تسافر بل فكرت في لحظة الفراق بينهما.

هدأت مريم قليلاً ثم أخبرت سديم بما قاله والدها لها أمس على أنهم سينتقلون إلى السعودية نظراً لعمل والدها.

يقع الخبر علي سديم كالصاعقة لم تصدق ما سمعته للتو فقالت:

- إنتِ بتهزري صح...يعني هتسافروا كلكم؟

- مش بهزر والله آه كلنا يا سديم.

- طيب هتسافروا إيمتى؟

- بعد امتحانات التيرم.

ترمي سديم بنفسها بين يدي مريم وتبكي لأنها ستفارق نصفها الآخر ... انتهى الحديث بين مريم وسديم

- بعد بكاء طال بينهما... وعدت كل منهما الأخرى أن يظل الحب بينهما حتى إن طال البعد..
- تصل مريم إلى المنزل وتسرع إلى غرفتها دون أن تتكلم مع أحد يلاحظ يوسف شيئاً غريباً عليها ولكنه متردد في معرفة ذلك الشيء ولكن فضوله كان أقوى منه.... يذهب إلى غرفتها ويطرق الباب.
- اتفضل.... قالتها سديم وهي تبكي.
- ممكن أعرف مالك ... قالها يوسف يقف أمام أخته...تفاجأ يوسف بسديم وهي ترمي بنفسها بين يدي يوسف كأنها تحتمي به من هذا العالم محاولة تخفيف ذلك الضجيج الذي مزق قلبها.... لم يشعر يوسف بذلك الأمر من قبل.... ربت على رأسها وقبلها محاولاً تهدئتها.
- ممكن تهدي وتقولي مالك...
- مريم يا يوسف خلاص هتسيني لوحدي.
- تنتسارع دقات قلب يوسف ويسأل نفسه: ماذا حدث لها؟ ولم تبكي سديم كل هذا البكاء؟

الفصل الثاني عشر

(القلب ينبض)

- نعيش على أمل أن نجد من يحيي فينا تلك المشاعر التي ماتت بفعل أفعالنا؛ لعلنا نجد من يروي تلك الأرض المتعطشة لذلك الحنين فتنبض فيها الحياة من جديد.
- يتجه يوسف إلى غرفته بعد أن حدثته سديم عن انتقال عائلة مريم إلى السعودية.
- يجلس يوسف على حافة سريره يفكر بما يشعر به ترى هل أحبها حقاً أم لأنها لم تتجاوب معه ولم تسقط في شبابه؟ دقائق قليلة من التفكير جعلت يوسف يتذكر ما فعله سابقاً.... هل سيرزقني الله بمثل مريم بعد أن فعلت فعلتي؟....قالها يوسف وهو يلوم نفسه .. تتساقط دموعه رغماً عنه كما تسقط أوراق الأشجار عندما يمر عليها فصل الخريف.... ألقى بجسده المتثاقل على سريره ليذهب في نوم عميق من كثرة الإرهاق مما أنساه مواعده مع صديقه فادي....

-
- تجلس سديم بصحبة مريم في الجامعة و تبدأ سديم بالحديث قائلة:
- تصوري يا مريم يوسف أخويا كان قاعد مع صهيب و أسر.
- ينبض قلب مريم فور سماع اسم يوسف رغماً عنها...ولكنها تتظاهر بعدم الاهتمام قائلة:
- آه صهيب قال لبابا وماما..... صح معاد الصفر قرب الشركة قربت تفتح والسفر هيبقي بعد الامتحانات إن شاء الله.
- يخيم الحزن على سديم عندما علمت باقتراب موعد سفر مريم.
- سديم أكيد يا حبيبتي هنكلم بعض ونظمن على بعض من هناك أنا مش هسيبك.
- و تفتكري ده كفاية يا مريم إنني أسمع صوتك بس.

لم تتمالك مريم نفسها من البكاء لترتمي بين يدي سديم معلنة البكاء ...

تصل مريم إلى منزلها على غير عاداتها لم تحضر الحلوى التي اعتادت على إحضارها لأخيها .. تدخل إلى غرفتها التي تحتوي الكثير من أسرارها، ترمي بجسدها على سريرها وتبكي وهي لا تعرف على ماذا تبكي؟ هل على فراق سديم وحدها أم ليوسف علاقة بالأمر؟ لحظات قليلة و تقوم لتهيئ نفسها للصلاة... لم تستطع أن تتمالك نفسها من كثرة بكاء فلقد أصاب قلبها سهام الحب ولكنها خرجت من قوس لم تكن تتوقعها ..سجدت وشعرت بأنها أقرب إلى الله فباحث عما في قلبها وهو أعلم فقالت:
- اللهم يا من ملكت كل شيء يا من ملكت السموات والأرض يا من ملكت قلبي وعقلي ونفسي أسألك باسمك الأعظم أن تربط على قلبي ولا تجعله سبباً في غضبك عليّ ..يااارب لا تجعل في قلبي إلا حبك وحب نبيك.....

هل ستغفر لي يااارب؟ قالها يوسف وهو جالس على مكتبه في غرفته.. يحاسب نفسه على تقصيره في حق نفسه.... ينظر إلى سقف غرفته ويقول:
- ياااارب مريم ما تسافرش...والله يارب قررت أتغير ...إنت قادر ماتخلهاش تسافر...
تأكد يوسف أنه أحبها فهي تختلف عن أي فتاة قابلها يوسفيقطع شروده اتصال فادي لبدأ يوسف في صراع داخلي ما بين نفسه اللوامة و نفسه الأمارة بالسوء التي طالما قادتة لكثير من المعاصي ...لحظات و انتهى رنين الهاتف فتتنفس يوسف وقال:
- الحمد لله

يقتررب موعد الامتحانات ومعه يقتررب موعد سفر مريم ومع مرور كل يوم كانت مريم وسديم تشعران بأن روحهما قد أوشكتا أن تفارقا جسدهمايوم يمر ويتبع يوم آخر ومعه تزداد المحبة بين مريم وسديم و في إحدى الأيام اتصلت سديم بمريم وأخبرتها أن تقابلها لأمر هام.
- إيه يا سديم؟ قلقتيني في إيه؟
- ما فيش حاجة اقعدي بس.... بصي بقي دية هدية بسيطة بس ما تفتحهاش دلوقتي، قبل ما تسافري افتحيها.
- ليه يا حبيبتي تعبتي نفسك إنتي؟ ما فيش بينا هدايا.
- أكيد ما فيش بينا بس عشان تفتكريني يا مريومة.
- عمري ما أقدر أنساكي أبداً...ربنا يجمعنا تحت عرشه يارب.
- آمين.

يتصل يوسف بإسلام ليخبره أنه يريد أن يقابله في أمر عاجل... يصل إسلام في الموعد المحدد ليجد يوسف على غير العادة.

- السلام عليكم ما لك يا يوسف قلقتني؟
- اقعد بس هحكيلك.... أنا يا إسلام نفسي أقرب من ربنا أووي نفسي أتغير نفسي أتوب لربنا بجد ساعدني يا إسلام.
لم يصدق إسلام ما سمعه من يوسف ...حالة من السعادة تجتاح قلبه فطالما كان يدعو له في سجوده

وقيامه أن يرزقه الله بالهداية

- بس أول حاجة يا يوسف تعملها إنك تصالح والدك وتطلب منه يسامحك على اللي عملته.

الفصل الثالث عشر

(سعادة وحزن)

تختلط مشاعرنا بين الحين و الآخر ما بين سعادة غامرة وحزن قاتل.. تتقلب تلك المشاعر بداخلنا لتشعل ضجيجاً بداخلنا لا نعرف طبيعته فنكتفي بالصمت.

يصل يوسف إلى منزله ولا يعرف ماذا يفعل وهل سيقبل والده اعتذاره؟... اقترب يوسف من والده ولم يشعر بنفسه إلا عندما بكى بين يدي والده وقبل يده ويقول:

- سامحني يا بابا أنا آسف والله صدقتي آخر مرة.

ربت والده بيده على رأسه... تتساقط دموع والدته طالما دعت ربها بالهداية لابنها وهاهي تراه أقبل على الله يقبل يوسف يد والدته ورأسها ثم يذهب إلى غرفته لحظات قليلة ويذهب إلى غرفة سديم ليتحدث معها ولكن يلاحظ يوسف أن بها شيئاً ما يفكر يوسف في تغيير مزاجها.

- مالك يا سديم في إيه؟

- لا مافيش حاجة أنا كويسه الحمد لله... قالتها سديم وظهر على وجهها الألم.

فكر يوسف في أن يمازحها وليته لم يفعل.

- ولا أقولك مالها البنتجانة السوداء؟

لم تدرك سديم أن يوسف يمازحها لتنفجر في البكاء قائلة:

- ليه بتكرهني كدا يا يوسف؟.. ليه بتحاول تكسر بقلبي كل شوية؟ ... تابعت سديم البكاء و يوسف يقف صامتا لا يدري ما يقول.. رق قلب يوسف عندما رأى منظر سديم هكذا ليضمها إليه ويمسح بيده على رأسها ومع تساقط كل دموعه من عينيها تذكر يوسف كم الحزن والألم الذي سببه لأخته ...اهدأي يا

طفلي.... لا تبكي على ما أصابك من معنوه مثلي فطالما كنت غيباً معك... حدث يوسف نفسه بتلك الكلمات ... لحظات قليلة وهدأت سديم بين يدي أخيها.. تنتظر إلى عينيها نظرة تحمل عتاباً بريئاً منها.. تكفي نظراتها أن تخبره أنها تحملت كل أفعاله كم كان قاسياً معها ولكنها سرعان ما مدّت يدها لتمسح تلك الدمعات التي سقطت من عيني يوسف ... وبعد اعتذار يوسف لسديم بدأت علاقة جديدة بينهما.

- مش هتقوليلي بردو يا سديم مالك؟

- مريم يا يوسف هتسافر بعد الامتحانات قالتها سديم بحزن نابع من قلبها.

يقع الخبر على قلب يوسف كالصاعقة.

يقطع صمته صوت أخته وهي تسأله:

- ما لك يا يوسف سكت ليه؟

- لا ما فيش حاجة ... بعد إذنك هروح أنا أنام شوية.